طبق الاصل

مؤيد نعمة

ثلاثة أسباب تحول دون التوادد بين الولايات المتحدة وأوروبا

بقلم : نيال فيرغسون

حين قام (ريتشارد نيكسون) بزيارة إلى الصين في شباط ١٩٧٢ كان العالم ملتهباً وكانت سمعته كصقر من صقور مناهضة الشيوعية والحرب الباردة راسخة الأركان. وكانت الصين في قبضة الثورة الثقافية وهي عبارة عن حرب أهلية بين اجيال أنتهت ببروز (ماوتسسي تونغ) ومع ذلك فقد كان هناك (نيكسون) و (ماو) وهما يتبادلان الانخاب ويتجاملان في المدينة المحرمة.

واليوم هناك من يرى في أفكار (جورج بوش) في أوروبا شيئاً محتمل الوقوع على الأغلب غير ان تلك هي وجهة الرئيس (بوش) التي قادته إلى بروكسل وبرلين وبارتسلافا.

وشأنه شأن (نيسكون) فإن (بوش) سجلاً واسعاً في العداوة تجاه مضيفيه. ففي فترة حكمه الأولى جاهر هو واوثق زملائه بتضجرهم من تردد فرنسا وألمانيا كي ينخرطا في الحرب للإطاحة بصدام حسين.

وقبل سنتين وفي لحظة لا ديبلوماسية مشهودة استهزأ وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) بما أسماه (أوروبا العجوز) في اشارة إلى الأعضاء الأصليين في الاتحاد الأوروبي في تعارض (مع أوروبا الفتاة)، أي دول شرق أوروبا المتهيئة للإلتحاق بالاتحاد الأوروبي.

وعلى امتداد فترة طويلة من عام ٢٠٠٣ عصفت، بالولايات المتحدة حالة طائشة وان كانت في أحايين كثيرة جدية من كره كل ما هو فرنسي فكتاب الخطب في البيت الأبيض لم يستخدموا في الواقع عبارة (القرود المستسلمة آكلة الاجبان) غير انه من السهولة ان تتصور الرئيس وهو يتمتم بها في جلساته الخاصة. وهكذا فإن (بوش) في أوروبا ،فيا لها من مفارقة كمفارقة (نيكسون) في الصين.

وفي هذه الأثناء، فإن أوروبا نفسها كالصين عام ١٩٧٢ تتعرض لتغييرات عميقة والتي بدا عليها لبعض الوقت استبعاد أي تآلف عبر الاطلسي. ومنذ تآكل وسقوط الاتحاد السوفيتي قل اعتماد الأوروبيين كثيراً في أمنهم على الولايات المتحدة وقد قلل هذا بصورة كبيرة حوافز التناغم داخل ما كان يطلق عليه (الغرب).

وربما يكون ما هو أكثر أهمية ان الاعداد الكبيرة للمسلمين (وخصوصاً في فرنسا وألمانيا) قد أدت إلى تحويل مواقف الأوروبيين بصورة بارعة نحو الشرق الأوسط التي هي قلب العالم من الناحية السياسية والجغرافية، وهناك نزعات تقليدية للتعاطف مع العرب من قبل النخب السياسية الأوروبية تم دعمها من قبل السياسيين الذين يخشون ابتعاد الدوائر الانتخابية الإسلامية عنهم ان هم التصقوا بصورة وثيقة مع الولايات المتحدة. وفي بعض الأحياء اصبح العداء الأوروبي لإسرائيل حاد النغمة وأحياناً (للأذن الأمريكية في الأقل) حتى ضد السامية.

ولهذه الأسباب من الصعوبة بمكان التفاؤل بخصوص هذه الجولة لـ(بوش). مع ذلك فان الدرس المستخلص من زيارة (نيكسون) إلى الصين هو ان المتناقضين يمكن في بعض الأحيان الالتقاء حقيقة.

فكلا الجانبين في حالة من التوادد والوفاق. فها هي (كوندااليزارايس) خليفة (كولن باول) في وزارة الخارجية لم يعرف عنها طيلة فترة الأربع السنوات من حكمها كمستشارة للأمن القومي وهي بشوشة غير أنها في رحلتها الأخيرة إلى العواصم الأوروبية كانت مبتسمة ضاحكة وهكذا فلم يعد هناك شك في ان ولاية (بوش) الثانية قد اعادت اكتشاف مباهج الدبلوماسية وكانت رحلة السيدة (رايس) تمثل بوادر هجوم أمريكي لكسب القلوب.

وهناك علامات على ان هذا الود سيكون متبادلاً. فالأمين العام الهولندي لحلف (الناتو) كان قد قال انه سيحاول الحصول على دول أوروبية أعضاء أكثر للمساهمة في تدريب قوات الأمن العراقية. وعبر المفوض التجاري للاتحاد الأوروبي عن رغبته في احياء العلاقات عبر الأطلسي". وقال (خافيير سولانا) ممثل السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي الثلاثاء الماضي ان التوتر قد انتهى وقد حان الوقت "للتطلع إلى المستقبل".

ومع ذلك فيستحيل الهروب من الشكوك القائلة ان هذه الحالة الموسيقية تخفي وراءها خلافات جوهرية حول ثلاث قضايا دولية كبرى.

وتظل القضية رقم واحد هي العراق، ففرنسا والمانيا لا تزالان ترفضان السماح بدخول افراد عسكريين إلى العراق وان أي اسهام يقومان به للتدريب يجب ان يكون في الدول المجاورة للعراق.اما القضية الثانية فهي إيران، فالولايات المتحدة تشك بشدة بالصفقة الأخيرة الأوروبية مع إيران بخصوص تعهدات قدمتها طهرن التي توصف بأنها نظام ديكتاتوري من قبل (كوندوليزا رايس) حول التخلي عن تخصيب اليورانيوم مقابل مساعدتها في مشاريع نووية لا عسكرية. وكان الموقف الفرنسي كما أعلن وزير الدفاع الألماني الأسبوع الماضي هو أن "إيران ستتخلى عن طموحاتها النووية فقط في حالة ضمان مصالحها الأمنية المشروعة". وهذا لا يجد أذناً صاغية في واشنطن حيث كانت هناك خطط اخيراً لتوجيه ضربات جوية ضد المنشآت النووية الإيرانية واقل شيء ممكن هو ان الولايات المتحدة تريد رفع قضية فرض عقوبات ضد إيران إلى مجلس الأمن.

اما أكبر مصدر للتوتر على كل حال فقد يكون الصين فالأوروبيون يخططون لرفع الحظر عن الأسلحة الذي فرض عام ١٩٨٩ بعد واقعة (ميدان تيانامين) ويعارض الأمريكان ذلك غير ان معارضتهم هي انعكاس لأعراض شك عميق إزاء ما تظهر به أوروبا أمام آسيا.

كما انه ليس من المعترف به على نطاق واسع ان الولايات المتحدة مدعومة من المؤسسات المالية الأجنبية وخصوصاً الآسيوية. فالمصارف المركزية التي يتزعمها مصرف الشعب الصيني تقوم بتمويل نحو ٧٥. ٨٥٪ من حساب العجز الأمريكي الحالي. ومن حيث الجوهر فان الصين تقوم بشراء الدولار والسندات الأمريكية لمنع عملتها الخاصة من الارتفاع امام الدولار الذي يؤدي بدوره إلى الضرر بالصادرات.

ثم ان العائدات على هذه المقبوضات من الدولار ليست واطئة بصورة مزرية وحسب، بل انه كلما ازداد "العجز المزدوج" الأمريكي ازداد افتضاح المصرف المركزي الصيني كي يخفض قيمة الدولار. وطبقاً لتقديرات صدرت اخيراً فإنه إذا ارتفعت قيمة الـ(يوان . العملة الصينية) بنسبة ٣٣٪ مقابل الدولار فإن ذلك سيؤدي إلى إلحاق خسارة بمصرف الشعب الصيني بما يعادل ١٠٪ من صافي الناتج القومي.

ومن تصور أمريكي فان ترتيباً كهذا هو حسن تماماً فالسياسة الاستهلاكية والخارجية يدفع لها بصورة فعالة من قبل آسيا في هيئة قروض منخفضة الفائدة وهو ما يسمح لإدارة (بوش) بإعطاء الناخبين الأمريكان السمن (وهو تخفيضات ضريبية) والبنادق (وهو احتلال العراق). كما ان الاعتماد المشترك يخفض من الناحية التفكيرية من خطورة عدم الاتفاق الصيني الأمريكي على القضايا الاستراتيجية وبالتحديد كوريا الشمالية وتايوان. ومع ذلك فأنه لابد للصينيين من ان يشعروا بالعصبية. فمن المعقول جداً بالنسبة لهم ان يقللوا من اعتمادهم الاقتصادي على سوق الصادرات الأمريكي وأن يصبحوا تحت رحمة الدولار.

وهناك خطوة أخرى تتمثل في ان أوروبا هي سوق أكبر من السوق الأمريكي بالنسبة للبضائع الأمريكية ومالكٌ فخور بـ(اليورو) وهي علمة ينظر إليها بصورة متزايدة كعملة بديل احتياطي عن الدولار.

اما المفارقة فهي انه قبل اشهر قليلة من زيارة (بوش) إلى بروكسل ذهب رجل دولة أوروبي وهو الرئيس (جاك شيراك) في رحلة إلى (بيجنغ) ولم تغط إعلامياً إلا بصورة قليلة كان هدفها تشجيع التبادل التجاري والثقافي مع فرنسا غير ان (شيراك) بالتأكيد كانت في ذهنه خطة أبعد فهو يعرف ان محادثات التقارب عبر الاطلسي لا تتجاوز كونها بلاغة كلامية فارغة إلا بقليل. كما انه يعلم ان أوروبا أمامها فرصة أن تخلص الصين من الطوق الأمريكي واليوم كما في عام ١٩٧٢ فإن للنظام الدولي شكلاً مثلثاً ومن ثم فإن الولايات المتحدة هي التي فاقت الاتحاد السوفيتي حيلة ودهاء حين خطبت ود الصين وربما جاء الآن دور أوروبا لتفوق الولايات المتحدة حيلة ودهاء بفعل الشيء نفسه أو هل ان (جورج بوش) حجز بالفعل رحلته إلى (بيجينغ).

عن : الغارديان

ترجمة : كاظم الحلفي

❖ نيال فيرغسون هو استاذ التاريخ في جامعة هارفارد وكبير باحثين في مؤسسة (هوفر) العلمية في (استانفورد) والكلية اليسوعية في اوكسفورد. آخر إصدار له: التمثال الضخم: ثمن الإمبراطورية الأمريكية.

لماذا تتجاهل اوربا جورج بوش؟

كانت نصيحة مكيافيلي الى السياسيين هي التالية: ان يخشاك الناس افضل من ان يحبوك. لم تنفع هذه النصيحة جورج بوش في زيارته الى اوربا، فرغم الكلمات الدافئة التي يتبادلها مع القادة الاوربيين، الا ان الحقيقة تشير الى ان ادارة بوش لا هي بالمحبوبة و لا يخشى منها في قطاعات واسعة متنامية من المجتمع الدولي-و بشكل متزايد و ببساطة، يتم تجاهلها.

هنالك دليل جديد على هذا الميل، الذي تطور هذا في اعقاب الحرب على العراق، يظهر للعيان كل اسبوع: ففي الجمعة الماضية، سخر الرئيس الروسي، فلاديمير بوتن من مزاعم امريكا حول سعي ايران لامتلاك الاسلحة النووية، و وافقت موسكو على المضي في تزويد المفاعل الايراني بالوقود النووي رغم معارضة واشنطن. و في حالة كونك أخطأت الرسالة، وافقت روسيا ايضا على تجهيز سوريا بالصواريخ ارض-جو المتطورة، وهو اخر ما اثار غضب امريكا في الشرق الاوسط-ومرة اخرى تحديا لرغبات واشنطن المعلنة.

من الصعب تجنب السخرية في اقتراح وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، بعد سقوط بغداد، من ان الولايات المتحدة قد "تسامح روسيا، تتجاهل المانيا و تعاقب فرنسا" لمعارضتها الحرب. في هذه الرحلة، و التمهيدية التي قامت بها رايس، كان الامر اكثر من الواضح من انهم في الحقيقة كانوا يحاولون بقوة مسامحة فرنسا و المانيا. و من الواضح بنفس الدرجة بان روسيا ليس مهتمة بامريكا. "السماح"- ان الرئيس بوتن يتجاهل ادارة بوش.

كما ان بوتن ليس الوحيد الذي يستهجن نداءات الولايات المتحدة في ترك الصفقات التجارية التي تهدد مصالح واشنطن الاستراتيجية. فالاتحاد الاوربي مستمر في خططه لرفع حظر السلاح المفروض على الصين بعد ساحة تيانامين، رغم حث ادارة بوش لتجنب بيع الاسلحة الى بكين.

و ف محاولاتهم لوضع وجه براق للخمول الذي يعتري تأثير ستراتيجية الادارة، فان ادارة بوش تشدد على ما هو ايجابي-لقد وافق الاوربيون، كما يشيرون، على تدريب قوات الامن العراقية. حقا، لقد وافقوا على تدريب ١٠٠٠ عراقي في السنة في مكان خارج العراق. ولوضع ذلك في منظور واضح، ان الهدف الامريكي هو في تدريب اكثر من ٢٠٠٠٠٠ عراقي بحلول ١ اكتوبر- بكلمات اخرى، سوف تبلغ مساهمة الناتو ٠,٥ ٪ من المجموع. وهذا يشبه الى حد ما بطاقة تحية ترجو فيها حظا سعيدا.

طبعا، العراق، هو المكان الذي بدأت فيه المشكلة بجد، وحتى قبل الحرب. فعن طريق الدفع باتجاه الحرب قبل سنتين وبدون تقديم الدليل على الادعاء و بدون انتظار مفتشي الامم المتحدة لكي ينتهوا من عملهم، خلقت ادارة بوش عن غير قصد شرخا في النظام العالمي للتحالفات ثبت كونه كارثي. لقد اوجدت وضعا حيث وجد حلفاء الولايات المتحدة انفسهم منذ امد بعيد بلا خيار لكي يقولوا لا الى واشنطن حول الاولويات الاستراتيجية- و من ثم ليس في مواجهة تبعات غير سلبية، و لكن لرؤية الولايات المتحدة تصارع تحت ثقل مهمة الاحتلال و من ثم العودة الى اوربا للمطالبة بتسوية الخلافات بدون ان يقوم الاوربيون بتغيير مواقفهم. حسنا، هذا ليس صحيحا تماما: لقد غيرت بعض الدول الاوربية من مواقفها- لقد سحبوا قطعاتهم من العراق. و كما يقول مثل افلام العصابات القديم " انك تدير هذه المدينة لان الناس يعتقدون بأنك تدير هذه المدينة". و الان عندما ياتي الرئيس بوش مناديا و مقدما اقتباسا من الوجودية الفرنسي-" يقول البير كامو بان الحرية هي سباق مسافات طويلة" كما قال الرئيس يوم الاثنين- وكلام لطيف حول البيئة و وعود بجعل عملية السلام الاسرائيلية-الفلسطينية على قمة اولوياته، ان الاوربيون يعرفون الان السبب و هو ان واشنطن قد اذلت من قبل الاحداث. في الحقيقة، يمكن ان تكون مقياسا على تغير التوازن الاستراتيجي بحيث لا يقوم الرئيس بوش بالاستشهاد باقوال من الوجودية الفرنسية فحسب؛ بل انه استضاف الرئيس شيراك على وليمة- وهو القائد الاوربي الذي من الواضح بانه لا يكن له الود، و الذي لم يتراجع قيد انملة عن موقفه المعارض لسياسة امريكا في العراق و في اماكن اخرى في الشرق الاوسط. كما ان فرنسا لم تستجب للضغوط الامريكية للقيام بخطوة عديمة الاهمية نسبيا في وضع حزب الله في قائمة الارهاب.

ان محصلة "عملية تحرير العراق" لم تكن لجعل اعداء امريكا يرتجفون امام قوتها. بدلا من ذلك، لقد جعلت منهم على بينة من حدود هذه القوة. لقد فشل الاحتلال الذي مضى عليه سنتين و بقوة مقداره ١٥٠٠٠٠ جندي امريكي في اخضاع تمرد قوة من المسلمين السنة يصر المسئولون على ان اعددهم لايزيد عن ١٢٠٠٠ , في هذه الايام، يعترف المسئولون الامريكان بان التمرد لا يمكن دحره بالقوة العسكرية، وكان من الواضح منذ مدة بعيدة بالنسبة للاوربيين و الآخرين بان مصادر واشنطن العسكرية قد اجهدت كثيرا بسبب مهمتها في العراق- كما ان محاسبي واشنطن غير مسرورين بالقائمة الشهرية البالغة ٥ مليار دولار لعملياتها في العراق و افغانستان. قد تكون ايران محصورة بين العراق و افغانستان، و لكنها لا تتصرف و كأنها تعتقد بوجد أي خطر غزو يقع على اراضيها. و على ضوء الصعاب التي واجهتها في العراق، فان من الصعوبة تصور قيام الولايات المتحدة باحتلال بلد يبلغ ثلاثة اضعاف العراق من حيث الحجم و السكان، ومن غير المحتمل ان تلاقي القوات الامريكية أي ترحيب كما فعل العراقيون.

لقد رحب الاوربيون بالتأكيد بتغيير النبرة من واشنطن، ولكن هذا لا يغير الاختلافات الاستراتيجية الاساسية التي تطغى على القيم المشتركة التي حاول الرئيس بوش ان يركز عليها. دعنا لا ننظر الى ابعد من ايران للتذكر بان الانقسامات الاطلسية التي حدثت بسبب العراق هي اوسع مما كانت قبل سنتين. ان الامريكان و الاوربيين بالتأكيد يتفقون على ان امتلاك ايران للاسلحة النووية امر سيئ، و لكن طرقهم للتعامل مع المشكلة مازالت متباعدة. يحاول الاوربيون التفاوض لابرام صفقة تاخذ بنظر الاعتبار ما يعتبرونه قلقاً ايرانياً امنياً مشروعاً- أي الخوف من مهاجمتها و اسقاط النظام- و تقديم ضمانات لايران و محفزات لتبتعد عن طريق السلاح النووي. حسنا، تقول ادارة بوش. نامل في ان يكون هذا شغالا، و لكن لا تتوقعوا منا ان نكون جزءاً من الصفقة. و لكن الولايات المتحدة، سواء كانت على خطأ ام صواب، تمتلك مخاوف ايران الامنية نفسها، و ان أي صفقة تقدم الى طهران تبقى عديمة المعنى بدون مشاركة واشنطن.

قد يفكر صقور الادارة بأنهم يحشدون بذكاء للقيام بعمل اكثر تشددا ضد طهران عن طريق السماح للدبلوماسية بان تاخذ مجراها و تفشل. ان كان الامر هكذا، فانهم قد يصادفون مفاجأة غير سارة. سوف يلوم الاوربيون بالتأكيد الولايات المتحدة لرفضها الجلوس على الطاولة مما ادى الى فشل الدبلوماسية. كما انهم من غير المحتمل ان يعتبروا ايران المتسلحة نوويا سبباً في اشعال حرب اخرى في الشرق الاوسط. يقول بوش، لا تقلقوا، ايران تختلف عن العراق-لقد خرق صدام قرار الامم المتحدة ١٦ ، في الوقت الذي لم تحال فيه بعد قضية ايران الى الامم المتحدة. ان الكلمة الفعالة، طبعا، هي "بعد". لقد اوضحت رايس بأنها تنوي رفع القضية الى هناك، و انها تجري مفاوضات من اجل عزل رئيس لجنة الطاقة الذرية الدولية ، محمد البرادعي، للمساعدة في تمهيد الطريق امام احالة طهران الى مجلس الامن. لقد رفض البرادعي تأييد اتهام واشنطن لطهران من انها تدير بشكل سري برنامجا للتسلح النووي، رغم مطالبته لطهران بمزيد من الشفافية و التعاون. و لكن الاوربيين يعارضون جهود ادارة بوش الرامية الى عزله، و ربما اكثر اهتماما من ادارة، الامر الذي يعكس الى أي مدى فقدت مصداقية الولايات المتحدة في عيون العالم بعد انهيار ذرائع قضية الحرب ضد العراق التي قدمتها الى الامم المتحدة قبل سنتين . وحتى لو نجحت واشنطن في احالة قضية طهران الى اجندة مجلس الامن، فان فرصتها لاستصدار قرار من المجلس بالشكل الذي تريده واشنطن هي ضئيلة. لقد بين الرئيس بوتن ان روسيا تقف الى جانب طهران في هذه القضية، و كما ان استثمارات الصين البالغة ٣٠ مليار دولار في النفط و الغاز الطبيعي الايراني يجعل من فيتو بكين امرا شبه مؤكد امام أي قرار يهدف الى فرض حضر او عزل طهران.

ان الشرخ بين الولايات المتحدة و اوربا واضح في مواضيع مثل معاهدة كيوتو و معاملة الاسرى في غوانتانامو، ولكن من المحتمل ان تكون محسوسة في مجال الاستراتيجية، التي من الواضح لم يعد فيها الاوربيون يرون انفسهم مرتبطين بالولايات المتحدة في مواضيع النزاعات العالمية و الامن. سيبني الاوربيون سياستهم الخاصة حول العراق، باقامة علاقاتهم الخاصة مع الحكومة الجديدة بشكل مستقل عن أمريكا، و من المفترض، هكذا سيحذو الآخرون-لان السلطة قد انتقلت الى مجموعات اقرب تاريخيا الى ايران منه الى الولايات المتحدة، و ليس امرا مفاجئاً لو تقدمت الصين بالمساعدات و الاستثمارات.

هنالك على امتداد العالم، تبرم اتفاقيات تجارية جديدة و تعاون استراتيجي حول الولايات المتحدة. فلم تبدأ الصين في الحلول محل امريكا كلاعب مهيمن في منظمة التعاون الاقتصادي الاسيوي الباسفيكي فحسب، بل انها تبرز كشريك رئيس الى بعض من اكبر اقتصاديات امريكا اللاتينية. قد يعكس القرار الاوربي في رفع حظر بيع السلاح عن الصين وعيا للاهمية الاقتصادية لبروز بكين كقوة اقتصادية الديناميكية التي سوف تجعل من حرب امريكا مع القاعدة قزما بمنظور تأثيرها على التوازن الاستراتيجي الدولي. و بما انها تبرز سوية مع لاعبين آخرين مثل الهند و البرازيل، فان الولايات المتحدة ستجد نفسها مجبرة على ان تتعهد بجزء متنام من المجتمع الدولي لم يعد يعتبر ان من الضروري ان تكون مصالحهم متعلقة بمصالح واشنطن، ولا في ان يفترضوا بان المصلحتين هما مصلحة واحدة و لا هي نفسها. روج خبراء السياسة الفرنسية الخارجية منذ زمن بعيد الى هدف خلق"تعددية قطبية" في فترة ما بعد الحرب الباردة، أي افضلية وجود عدة مراكز قوى مختلفة، ومتنافسة بدلا من "القطب الواحد" للولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة. لم تعد التعددية القطبية هدفا استراتيجيا. انها حقيقة تظهر للعيان.

ترجمة : فاروق السعد

عن : التايم